

بسم الله الرحمن الرحيم

رياض الصالحين

شرح حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: "آية المنافق ثلثٌ..". ٢

الشيخ: خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فكنا نتحدث عن قول النبي -صلى الله عليه وسلم-، ((آية المنافق ثلث إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان))^(١)، وفي رواية: ((وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم))^(٢)، وهذا الحديث حمله بعض أهل العلم على أن ذلك من قبيل النفاق العملي، وليس الاعتقادي المخرج من الملة، ومنهم من يحمله على النفاق الاعتقادي، لمن كان ذلك دينه، وعادته الملازمة له، لاسيما أنه قد عُلق على الشرط، والمعلق على الشرط يتكرر بتكرره، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان، أي: أنه يكذب في حديثه ويخون دائماً، ويخالف الوعود، فمثل هذا إذا كان يفعل ذلك وهو دينه ولا يبالي ولا يرفع لذلك رأساً فإن ذلك يكون محمولاً على النفاق الذي يخرج من الملة، هكذا قال بعض أهل العلم، وقال بعضهم: إن ذلك بناء على حال المخاطبين في زمن النبي -صلى الله عليه وسلم-، حيث كان أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- في غاية المحافظة على حدود الله -سبارك وتعالى-، والصدق في القول والوفاء في الوعد، وما أشبه ذلك، وأما أهل النفاق في ذلك الزمان فكانوا يعرفون بهذه الأوصاف، فذكرها النبي -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه ليعرفوا بها المنافقين، ولم يكن من عادة الشارع أن يسميهم وإنما يذكر أوصافهم كما ذكر الله -عز وجل- جملة من أوصافهم في القرآن.

والحديث الثاني هو حديث حذيفة بن اليمان -رضي الله عنه- قال: حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حديثين، قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، والنبي -صلى الله عليه وسلم- قد حدثهم بأحاديث كثيرة، لكن المقصود هنا بحديثين ذكرهما في هذا الحديث، أما الأول فقد ذكره قال: حدثنا ((أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال))^(٣)، وقد حمل بعض أهل العلم الأمانة هنا على الأمانة التي عناها الله -عز وجل- بقوله: **{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلُنَّهَا وَأَشْفَقُنَّ مِنْهَا وَحَمَلَهَا إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا}** [الأحزاب: ٧٢]، والأرجح من أقوال أهل العلم في تفسيرها أنها التكاليف الشرعية، فالله -عز وجل- قد ائمن العباد عليها وكفهم القيام بها، ويدخل تحت هذا العموم سائر الأمانات، مما يتعامل به الناس

١ - أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب علامة المنافق، (١٦/١)، رقم (٣٣)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، (٧٨/١)، رقم: (٥٩).

٢ - أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق، (٧٨/١)، رقم: (٥٩).

٣ - أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة، (١٠٤/٨)، رقم: (٦٤٩٧)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن على القلوب، (١٢٦/١)، رقم: (١٤٣).

ويتعاطونه مما يصدق عليه أنه أمانة، فقوله هنا: إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، أي: في أصل قلوبهم، وذلك -والله تعالى أعلم- مما يتصل بالفطرة، يقول: "ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة"، أي أن ذلك كان صقلًا وتهذيباً، وزيادة في البصيرة فيما يتصل بالأمانة، فإنه يوجد في فطرة الإنسان، وما أنزله الله -عز وجل- في كتابه، وما بعث به رسوله -صلى الله عليه وسلم- ما هو بمنزلة نور العين مع ضوء الشمس، فإذا وجد مع نور العين ضوء الشمس أبصر الإنسان إبصاراً بيناً تتجلى فيه الأشياء، وإذا كان في نور الشمس ضعف كالليل مثلاً فإنه يضعف إبصار الإنسان، وإذا كان الإنسان في رابعة النهار ولكن بصره ضعيف فإن ذلك يؤثر في رؤيته، فالحاصل أن **((الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة))**، أي: وعلموا من القرآن ومن السنة ما يقرر ذلك ويؤكدده، كقوله تعالى: **{إِنَّا عَرَضْنَا الْأُمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ}**، وقوله: **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤْدُوا الْأُمَانَاتَ إِلَيْ أَهْلِهَا}** [النساء: ٥٨]، فعرفوا أن ذلك لازم لهم، وعلموا من السنة كهذا الحديث، والحديث السابق: **((آية المنافق ثلات))**، يقول: حدثنا حديثين، الأول: عن نزول الأمانة في جذر قلوب الرجال، فعلموا من القرآن، وعلموا من السنة، فصار ذلك في غاية الجلاء والوضوح والتقرير والثبوت، ثم حدثهم حديثاً آخر، وهو متعلق برفع الأمانة من قلوبهم فقال: **((يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةً فَتَقْبِضُ الْأُمَانَةَ مِنْ قَلْبِهِ))**^(٤)؛ وذلك لذنب ارتكبه، أو أن النبي -صلى الله عليه وسلم- يحدث عما سيكون في آخر الزمان، إذا رفعت الأمانة من قلوب الناس، يقول: **((يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةً فَتَقْبِضُ الْأُمَانَةَ مِنْ قَلْبِهِ، فَيُظْلَى أَثْرُهَا مِثْلُ الْوَكْتِ))**، أي: يبقى أثر الأمانة في قلبه مثل الوكت، والوكت هو: لون يغاير اللون الذي وقع عليه، كأن يكون ثوباً أبيض وقع عليه شيء فيه سواد، فهذا مثل الوكت، وبعضهم قال: الوكت هو شيء من السواد، "فيظل أثراً مثل الوكت" هذا يحمل معنيين: الأول: أن يبقى لها أثر ضعيف ولا تمحي تماماً.

والثاني: أن ذلك يعني أنها ظلمة في القلب مكان هذا الجزء الذي رفع من الأمانة، يبقى مكانه سواد، يقول: **((ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةً فَتَقْبِضُ الْأُمَانَةَ مِنْ قَلْبِهِ، فَيُظْلَى أَثْرُهَا مِثْلُ الْمَجْلِ، كَجْمَرٍ دَحْرَجَتْهُ رَجُلٌ فَنَفِطَ، فَتَرَاهُ مُنْتَرِبًا وَلَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ، ثُمَّ أَخْذَ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حِصَّةً فَدَحْرَجَهُ عَلَى رِجْلِهِ..))** وقوله: **نَفِطَ أَيْ** انتفخ، فترأه منتبراً أي: جلداً منتفخاً، فيه ماء يسير، ليس مثل الورم مثلاً، مثل ما يظهر في يد الإنسان حينما يضرب بالمعول مثلاً، فيظهر في يده هذا الأثر الذي يقال له: **المَجْل**، وهكذا الحروق في أولها، التي يسمونها **الحرائق السطحية**، إذا تدرج الجمر على الجلد ما الذي يحصل من أثره؟ ينتفخ ويكون فيه ماء تحت الجلد، وهذا يبقى أثراً مثل المجل، على المعنى الأول الذي ذكرناه يبقى أثراً مثل المجل بمعنى أنه يبقى لها أثر ثم بعد ذلك تزول، وشبّه الزوال بدرج حجر النبي -صلى الله عليه وسلم- على رجله فتفارق القلب بالكليّة، وعلى المعنى الثاني أن الوكت بمعنى أنه يُرفع جزء فيبقى سواد، فإذا رفع هذا بقي انتفاخ، وهذا أشد وأثبت، وأسوأ أثراً من مجرد السواد، فيبقى أثراً بهذه المثابة -نسأل الله العافية-، قال:

٤ - أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب: رفع الأمانة، (٤/٦٤٩٧)، رقم: (١٠٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب، وعرض الفتن على القلوب، (١٢٦/١)، رقم: (٤٣).

((فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة))، صار الغش والتسلس والالتواء هو الشطاره والأمانة التي يتخلق بها الناس في ذلك الوقت، ((حتى يقال: إن فيبني فلان رجلاً أميناً))؛ لندرة الأمانة في ذلك الوقت، وأما عامة الناس فالغش دينهم وهو خلقهم وسجيتهم، ((حتى يقال للرجل: ما أجلده، ما أظرفه، ما أعقله، وما في قلبه متقال حبة من خردل من إيمان))، ذكر هنا ثلاثة أوصاف مما يتمادح به الناس فقال: ما أجلده، أي: أنه يعمل بجد واجتهاد وجده عظيم، من غير كل ولا ملل، وما أظرفه وهذا مما يستملح في أوصاف الناس عادة، يستلطونه ويستملحونه، ويختف عليهم في المجالس لطراحته أو غير ذلك، وما أعقله، الناس يتثنون عليه بالجلد والعقل واللطفافة والظرافة، ويثنون على ما عنده من مهارات، فلان إداري ناجح، وتاجر حاذق، أو صانع متقن، أو يقولون: هذا معلم جيد، ومعلم مثالي أو نحو ذلك، وهو نسأل الله العافية- خال من الداخل، ((وما في قلبه متقال حبة من خردل من إيمان))، وكما قال الله -عز وجل- عن المنافقين **{وإِذَا رَأَيْتُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَانُوكُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ}** [المنافقون: ٤]، نسأل الله العافية-، إذا رأيتم تعجبك أجسامهم، أي: أجسام طول وجمال وبهاء؛ لأنهم غذوا هذه الأجسام؛ ولأنها كانت هي غايتهم، هم يتلونون مع من غالب، كل هذا من أجل حقن دمائهم وإحرار أموالهم، فهي الغاية عندهم، فأجسامهم في غاية النضارة والجمال، وكلام مصف وجيد ومرتب، وإذا سمعت هذا الكلام تقول: ما شاء الله، هذا الرجل الذي ما بعده، هذا الكلام الجيد الذي ينم عن عقل راجح، وهم: **{كَانُوكُمْ خُشُبٌ مُّسْنَدَةٌ}**، أي: لأنهم ألواح خاوية لا تفهم، وأشباه بلا أرواح، وجسمون بلا فهوم نسأل الله العافية-، والله -عز وجل- يقول: **{وَلَعَبَدُ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبْكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَبَيْنَ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}** [البقرة: ٢٢١]، حتى لو كان هذا المؤمن ضعيف العقل، ضعيف الجهد، وحتى لو كانت هذه الخادمة ضعيفة، لا تعمل كما ينبغي فهي أحسن من الكافرة البوذية أو النصرانية، يقول: ((ولقد أتى على زمان وما أبالي أياكم باياعت))، المبايعة هنا تحمل البيعة المعروفة، وهذا بعيد؛ لأنه قال: وإن كان نصرانياً أو يهودياً إلى آخره...، ولذلك تحمل هنا المبايعة على البيع والشراء، يقول: ((ولقد أتى على زمان وما أبالي أياكم باياعت، لئن كان مسلماً ليردنه على دينه)) أي: يحمله دينه على الوفاء، والقيام بما أمر الله -عز وجل- ولا يحصل منه غش، وإذا تبين عيب في السلعة، وعرض عليه قال: لم أشعر به، ولك أن تردها وأن تأخذ القيمة، ولا يعتبر ذلك شطاره بحيث إنه زوتها عليك، ومررها عليك، ثم يقول بعد ذلك: أنا بعثك كوماً من حديد، والنظام لا يحمي المغفلين، إذا النظام لا يحمي المغفلين يحمي من إدا؟ يحمي الفجرة والمحتالين واللصوص؟! هذا لا يكون أبداً، النظام يحمي المغفلين أولاً، ويقوم على هؤلاء المجرمين بما أمر الله -عز وجل- أن يقام عليهم به، وهذه من أفسد ما سمعت في حياتي فقط من القواعد التي تجري على ألسنة بعض من لا خلاق لهم، إذا غش الناس قال: النظام لا يحمي المغفلين، فالحاصل أنه قال: **(ليردنه على دينه)** وإن كان نصرانياً أو يهودياً **(ليردنه على ساعيه)** يعني من له ولدية عليه، يقول: ((وأما اليوم فما كنت أبایع منکم إلا فلاناً وفلاناً)) هذا في زمن من؟ هذا في زمن الصحابة -رضي الله عنهم-، فكيف بزماننا هذا؟! كيف بزماننا هذا؟! الله المستعان، ومن نظر في هذا الحديث وتأمله خاف على نفسه وحاسبها، وراعى حقوق الناس، واتقى الله -عز وجل- في بيته وشرائه ومعاملاته، وعرف أيضاً مقادير الأشياء والموازين التي

يوزن بها الناس، وكيف يتفاصلون، وبماذا يرتفع الإنسان، وأن الغش والتدايس والتزوير على الناس لا ينفعه شيئاً، ولا يغنى عنه لا في الدنيا ولا في الآخرة، أما في الدنيا فإنه يفتضح بين الخلق، وأما في الآخرة فهو الخسران، والميزان هناك والحساب إنما هو بالحسنات والسيئات، فيؤخذ من حسناته، فهي جمرة وقطعة من النار إن شاء أن يأخذها وإن شاء تركها، يتوسد ذلك في قبره، إذا المسألة ليست شطاره، هو يأخذ جمرة من نار يكوى بها، ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم- في الحديث: **(العل بعضكم أحن بحجه من بعض وإنما هي قطعة من نار)**^(٥)، يعني إذا حكم له النبي -صلى الله عليه وسلم- بناء على كلام جيد مرتب استطاع أن يأخذ به الحق فلا يعني هذا أنه يحل له، وإنما هي قطعة من نار إن كان لا يحل له أخذها. هذا، وأسائل الله -عز وجل- أن ينفعنا وإياكم بما علمنا، وأن يجعلنا وإياكم هداة مهتدين، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه.

٥ - أخرجه البخاري، كتاب الشهادات، باب: من أقام البينة بعد اليمين، (١٨٠/٣)، رقم: (٢٦٨٠).